

حملة الطيب

"اسمك طيبٌ مهراقٌ، لذلك أحببتك العذارى"

الغرابة التي يفرضها النصّ الإنجيلي تفتح أمامنا أبعاداً جديدة لندرك معانيه بشكل أفضل. وهذه الغرابة هي في كونه على الرغم من أن حاملات الطيب، بمجرد انقضاء السبت، بكرنّ جداً وأتين القبر بطيوب ليدهن يسوع، إلاّ أنهنّ لم يدهنّ يسوع الطيب الحقيقي، لأنّ "رائحة المسيح الطيبة" (٢ كور ٢، ١٤-١٧) كانت قد فاضت من القبر؛ "لقد قام، ليس هو ههنا" (مر ١٦، ٦).

لقد كان تطيب الميت معالجة حبيّة للفساد. الفراعنة بالأطياب اشتروا خلوداً وهمياً للجسد، واليهود وجدوا فيها إكراماً للميت وإخفاءً للنتن. أمّا الطيب الحقيقي فهو عدم الفساد. لقد أشرق المسيح من القبر طيباً جزيل الثمن. لقد نهض الربّ رائحةً ذكيّة العرف، وصارت الطبيعة البشرية غير القابلة لفساداً "حاملة طيباً" جديداً. النسوة حاملات الطيب لم يدهنّ يسوع أمّا حملة الطيب الجدد، البشر، من بعد قيامة المسيح، فقد أُعطي لهم أن يلبسوا المسيح وليس أن يدهنوه فقط. في نشيد الأناشيد تصرخ الكنيسة إلى الربّ "اسمك ميرون (طيب) مهراق"، وهذا الطيب والميرون صار مسحةً "بفيضان المسيح من القبر" يُمسح بها كلّ مسيحيّ. يرى القديس نيقولاوس كاباسيلاس أن البشرية، بعد السقوط، قد بنت بينها وبين الله جداراً من العداوة فاصلاً، بعد قيامة المسيح لبست الطبيعة البشرية الجسد وعدم الفساد بالمسيح، وبدل الجدار بيننا وبين الله حلت المسحة وصار الجدار دهنًا.

فيضان المسيح من القبر طيباً، جعل الكنيسة مسحةً دائمة، وجعل لكلّ مسيحي إمكانية أن يصير حامل طيب. أسرار الكنيسة، وطقوسها، وكل الحياة فيها، ما هي إلاّ حركة مسح بهذا الطيب. يتقدّم المسيحيّ إلى المسيح كحامل طيب، لا ليدهنّ الطيب السماوي بل ليدهنّ به؛ فيصطبغ معه على شبه موته ليقوم معه في قيامته.

إلا أن السرَّ الجديد في حملة الطيب الجدد هو أن هذا الطيب، كما يقول السلمي، يفضحهم. لأنَّ من يحمل الطيب الجديد للمسيح بعد القيامة، يصير هو طيباً وطيباً؛ ليس نفساً وحسب، بل وجسداً أيضاً. وحالات القديسين مفضي الطيب ليست نادرة في الكنيسة. تسمي الأناشيد الكنسيّة العذراء طيباً جزيل الثمن. والناشرين الجديد هو حياة الفضيلة، وحملته هم رجال الصلاة والنفس الخصبه بالفضائل، المتطهّرة من عتاقة الإنسان القديم ونتاجة أهوائه. لما كان اسم الربِّ ميرون (طيب) مهراق فإنَّ حملة الطيب هم الذين يحملون هذا الاسم، ويردّدونه على الدوام كما فعل جميع القديسين؛ وكبولس الذي لم يكن هو من يجيا بل المسيح الطيب السماويّ يجيا فيه.

إذا كانت حركة حاملات الطيب، حين اتجهنَّ إلى القبر، تعبيراً عميقاً عن الحبِّ الإنسانيِّ نحو الربِّ من جهة، وتعبيراً عن رفض نتانة الفساد من جهة ثانية، فإنَّ رسالتهنَّ تتحقّق بالكنيسة حيث طيب عدم الفساد هو المسيح الذي نُدهن به في الأسرار، ونحمله بحياة الفضيلة، فنصطبغ به، ونلبسه حلّة عدم فسادٍ لحياة أبدية خالدة.

آمين

